خاطـــرتـان..

«١»

حوائط وبـ . . .شر

في كل جهـة من غرفـتي يوجد حائط، أظنه سُـمّي بذلك لأنه يحـيط بانطلاقة نفـسي ويمنعهـا من التحليق خـارجاً.. يحـيط بحريتي وبلونها الوردي الذي مع الوقت أصبح قاتماً، بل أسود، يحيط بأفكاري ليجعلها حبيسة بين حناياه.

ثم هناك ستارة على أحد تلك الحوائط، تستر نور الشمس عن أن يسطع على أوراقي وكتاباتي، تمنع دفئها من أن يضمّني تمنع خيوط أشعتها من اللعب مع أغنياتي.

ثم نافـذة.. لست أدري إلى مـاذا تنفـذ؟! كل مـا أدريه أن مـا خلفهـا عالم مـجهـول، مخيف.. أسـمع من تلك النافـذة أصواتاً لمخلوقات يدعون بشراً.. هذا يعلي كلمة باطل، وذاك يخفض كلمة حق، هذا يعزف مزماراً للغيـبة وذاك يقرع طبلاً للظلم، وكل ذلك قائم على مسرح أعصابي.

بشر.. فعلاً اسم على مسمى.. فثلثي هذه الكلمة «شر» والثلث الثالـث «بـ» لامعنى له، فـهو ليس حـرف نداء أستجـيب له ولا حرف جر يجرني للاختـلاط معهم، لذا.. من الأفضل أن أسحب مسرح أعصابي من تحت أرجلهم وأحتفظ به بين تلك الحوائط.

«٢»

للغربة حســنات

نعم.. الغــربة مـرة، وهذه العــبـارة دارجـة علـى ألسنة الكثيرين، وربما قالهـا من لم يجرب الغربة أصلاً، لكني أرى أن الغربة خالفت القـاعدة وأذاقتني شيئاً غـير المرارة- أجهل طعمه ـ وأعـطتني مالم تعطه لأحد، لأنها بالمقـابل أخذت مني ما لم تأخذه من أحد ـ فهي في هذه الحال أنصفتني.

فـالغربة، علمـتني مالـم أتعلمه في مـقاعـد الدرس أو في صـفوف الحـياة، إذ لهـا الفـضل في تعليـمي كيف أضـحك بعيون دامعة، وكيف ابتـسم فرحاً بقلب حزين وكيف أداوي جراحـاتي بالكي لا بغيره، علمـتني كيف أتكلم دون أن أنطق وكيف أنطق دون أن أعـبر وكيف أحـسب الزمن دون انتظار شيء وكيف أضيء ليلي بذكريات سوداء.

علمـتني.. كـيف أجن بعـقـلانيـة، وكيف أصـرخ بصـوت مهموس وكيف أضيّع دربي بخطوة ثابتة.

علمـتني أن من يقتل يمـوت مرة ومن يغـترب يموت بعـدد لحظات غـربتـه أعطتني دروسـاً عـدة جـعلت مني إنسـانة سرابيـة، وكان الدرس الأول منـها فى البلاغـة فعلمـتني أن هناك شبـه كبيـر بينها وبين الصـبر وشبـه كبيـر أيضاً بين الموت والوحدة.

والدرس الثاني كان في الرسم، فعلـمتني كيف أرسم قناعاً تعلوه الابتسـامة وإشراقة الوجـه أرتديه كل صباح لينتـزعه الغـير فـيظهـر اللا شيء، والدرس الثـالث في علم الأحيـاء فعلمتني أن جرح الجسد أصعب بكثير من جرح المشاعر لأنه يحتـاج لأدوات حادة لكن المشاعر تحـتاج لكلمة واحـدة فقط لتودي بها.

والدرس الرابع في اللغة والأدب، فعلمتني أن ألتزم الصمت مهـما وُجِّه إلَيّ من إسـاءات أو اتهامات وذلك لأنهـا أنستني اللغة التي تربيت عليها، والدرس الخـامس كان في الحساب، فـعلمـتني أن الواحـد إن أنقصنـا منه واحد يسـاوى أناسـاً كثيـرين لامعنى لهم، فقط تعرفنا عليهم يومـاً ما وفارقناهم في يوم ما ليصبحوا بين طيات النسيان.

وأخـيراً أعطـتنى درساً فى النـحو، فـعلمـتني أن الظروف ثلاثة ظرف زمان وظرف مكان وظرف حيرة بينهما.

زهراء الظفيري
المستوي السابع
كلية اللغة العربية
جامعة الإمام ـ الرياض